

آسيا جبار والتعدد اللغوي

Assia Djebbar and Multilingualism

عبد الرشيد خلف الله *

جامعة محمد بوضياف (الجزائر)

nadjah.oukali@univ-msila.dz

الملخص:

معلومات المقال

تتناول هذه الدراسة وبالتحليل العميق ظاهرة "التعدد اللغوي" في أعمال الروائية الجزائرية "آسيا جبار"، بوصفها استراتيجية جمالية وسياسية أساسية في مشروعها الأدبي. تتطرق الدراسة من إشكالية الكتابة بلغة الآخر (الفرنسية) في سياق ما بعد كولونيالي، وتستكشف كيف حولت "جبار" هذا الإكراه اللغوي إلى أداة لتفكيك الخطابات المهيمنة، سواء كانت استعمارية أو بطريركية. كما تركز على تحليل نقدي مستفيض لمجموعة من أعمال "جبار" الروائية والنقدية، مستنيرة بالدراسات الأكاديمية التي تناولت تجربتها. يبحث القسم الأول في جدلية العلاقة بين اللغة الفرنسية كلغة للكتابة والانعتاق، واللغات الأم (العربية والأمازيغية) كلغة للذاكرة والحميمية المقموعة. أما القسم الثاني، فيحلل كيفية توظيف جبار للحكي الشفوي النسوي كألية لاستعادة الصوت الأنثوي المهمش وإعادة كتابة التاريخ من منظور مغاير. وتخلص الدراسة إلى أن التعدد اللغوي عند "جبار" ليس مجرد سمة أسلوبية، بل هو بنية روائية وفكرية تعكس الهوية المتشظية للمثقف ما بعد الكولونيالي، وتؤسس لمشروع تحرري يعيد الاعتبار للأصوات واللغات والتواريخ المسكوت عنها، ويجعل من الجسد الأنثوي لغة رابعة تتجاوز ثنائيات الخطاب التقليدي

تاريخ الارسال:

2026-05-19

تاريخ القبول:

2026-06-12

الكلمات المفتاحية:

- ✓ النقدية
- ✓ النسوية
- ✓ الرواية
- ✓ المرأة

Abstract :

Article info

This study provides an in-depth analysis of the phenomenon of "linguistic plurality" in the works of the Algerian novelist Assia Djébar, framing it as a fundamental aesthetic and political strategy within her literary project. The research departs from the problematic of writing in the language of the Other (French) within a post-colonial context, exploring how Djébar transformed this linguistic constraint into a tool for deconstructing dominant discourses, whether colonial or patriarchal. It is grounded in a thorough critical analysis of a selection of Djébar's fictional and non-fictional works, informed by relevant academic scholarship on her writing. The first section investigates the dialectical relationship between the French language as a medium for writing and liberation, and the native languages (Arabic and Berber) as languages of suppressed memory and intimacy. The second section analyzes how Djébar employs women's oral storytelling as a mechanism for reclaiming the marginalized female voice and rewriting history from an alternative perspective. The study concludes that linguistic plurality in Djébar's work is not merely a stylistic feature, but rather a narrative and intellectual structure that reflects the fragmented identity of the post-colonial intellectual. It establishes a liberatory project that restores value to silenced voices, languages, and histories, ultimately positioning the female body as a fourth language that transcends the dualities of traditional discourse.

Keywords:

- ✓ Criticism
- ✓ feminism
- ✓ the novel
- ✓ women

مقدمة:

شكل الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية حقلاً خصباً للدراسات النقدية ما بعد الكولونيالية، حيث طرحت مسألة اللغة أسئلة جوهرية حول الهوية والذاكرة والمقاومة. في هذا السياق، تمثل الكتابة بلغة المستعمر السابق قضية محورية، فهي ليست مجرد خيار أسلوبى، بل موقف وجودي يعكس تمزقات المثقف المنحدر من سياق استعماري، والذي يجد نفسه "يسكن لغة ليست لغته" (Derrida, 1996, p. 05). لقد استقرت اللغة الفرنسية في بلدان المغرب العربي وعززت من وجودها داخل النسيج المجتمعي حتى بعد انقضاء فترة الاحتلال، لتتحول من ضرورة إلى خيار واع للكتابة (بلغول، 2016، ص. 116). هذا الوضع اللغوي المعقد أنتج أدبا غنيا بتوتراته، أدبا يتأرجح بين الانتماء والاغتراب، بين الرغبة في التواصل العالمي والخوف من فقدان الجذور. في هذا السياق الخاص بالأدب الجزائري الفرنكفوني، تبرز تجربة "آسيا جبار" (فاطمة الزهراء إيمالين) كصوت نسائي فريد استمر منذ الثورة الجزائرية وحتى بدايات القرن الحادي والعشرين (بلغول، 2016، ص. 113). لم تكن جبار مجرد روائية، بل كانت مؤرخة وكاتبة سيناريو ومخرجة، وقد جعلت من التعدد اللغوي حجر الزاوية في مشروعها الفكري والجمالي. إنها تنتمي إلى الجيل الأول من الكتاب الذين كونوا في الخمسينات مجموعة الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية (قسطي، 2016، ص. 145). بالنسبة لجبار، لم تكن الفرنسية مجرد أداة للتعبير، بل كانت "أرضها الوحيدة" و "معطفها الوحيد"، اللغة الوحيدة التي أُنقنتها منذ الصبا بفضل والدها المعلم (بلغول، 2016، ص. 116). لكن هذه اللغة، لغة الأب والمستعمر، ظلت في الوقت نفسه تحمل إرثا

ثقبلا من العنف والذاكرة الدامية، مما خلق لديها علاقة ملتبسة معها، علاقة حب وكراهية، انعتاق وسجن في آن واحد.

على الرغم من غزارة الدراسات التي تناولت أعمال "آسيا جبار"، والتي ركزت على جوانب متعددة مثل النسوية والتاريخ، والذاكرة، إلا أن هناك فجوة بحثية تتمثل في غياب دراسة شاملة ومتكاملة تنظر إلى "التعدد اللغوي" ليس كعنصر من عناصر كتابتها، بل كإستراتيجية بنوية متكاملة تشكل جوهر مشروعها الأدبي والسياسي. فالكثير من الدراسات تتناول علاقتها بالفرنسية أو بالعربية بشكل منفصل، أو تركز على الجانب الشفوي في أعمالها، دون ربط هذه العناصر في إطار نظري موحد يرى في التعدد اللغوي نفسه (بكل تجلياته: التناوب اللغوي، التهجين، الترجمة الذاتية، الحوار بين الشفوي والكتابي) آلية مركزية لتفكيك الخطابات المهيمنة (الاستعمارية والذكورية) وإعادة بناء هوية أنثوية متشظية ومتعددة. إن التعامل مع لغات جبار المتعددة (الفرنسية، العربية الفصحى، العربية الدارجة، الأمازيغية، ولغة الجسد) كأجزاء منفصلة يغفل عن رؤية الكيفية التي تتفاعل بها هذه اللغات داخل النص لتنتج "باليمست" لغويا وثقافيا يعيد تشكيل معنى الهوية والتاريخ (Boussoualim, 2018, p. 111)

وانطلاقا من هذه الفجوة، تطرح الدراسة الإشكالية البحثية التالية:

كيف يتجلى التعدد اللغوي كإستراتيجية جمالية وسياسية تأسيسية في أعمال "آسيا جبار" لتفكيك الخطابات المهيمنة. وإعادة بناء سردية بديلة للهوية الأنثوية والتاريخ الجزائري المهمش؟ وكيف يتحول الصراع بين اللغات لديها من معضلة وجودية إلى مشروع أدبي خلاق يعيد تعريف العلاقة بين الذات والآخر، وبين الذاكرة والكتابة، وبين الصوت والجسد؟

2. أهمية الدراسة:

تكمن أهمية هذه الدراسة في كونها تقدم قراءة تركيبية ومتعمقة لأعمال "آسيا جبار"، إذ تتجاوز التحليلات الجزئية لتقدم التعدد اللغوي كمفتاح تأويلي شامل لفهم مشروعها الأدبي. أولا، تساهم هذه الدراسة في تعميق فهم الأدب الجزائري ما بعد الكولونيالي، من خلال تحليل تجربة واحدة من أبرز أعلامه، مبرزة كيف يمكن للغة أن تكون ساحة للمقاومة وإعادة تشكيل الهوية. ثانيا، تكتسب الدراسة أهميتها من راهنية القضايا التي تطرحها جبار، والتي لا تزال تشغل الفكر النقدي المعاصر، مثل سياسات اللغة، وتشظي الهوية في عالم معولم، وإعادة كتابة التاريخ من منظورات مهمشة، وقضايا الجسد الأنثوي. فالهوية الإشكالية ما تزال قائمة في الجزائر وقد زادت حدة بتزايد تأزم الوضعية اللسانية والسياسية (قسطي، 2016، ص. 147). ثالثا، تقدم المقالة إطارا نظريا يدمج بين نظريات ما بعد الاستعمار، والنقد النسوي، واللسانيات الاجتماعية، مما يفتح آفاقا جديدة لتحليل النصوص الأدبية التي تنشأ في سياقات لغوية وثقافية متعددة. وأخيرا، من خلال التركيز على جبار كـ "صوت نسائي استمر منذ الثورة" (بلغول، 2016، ص. 113)، تسلط الدراسة الضوء على خصوصية التجربة النسائية في التعامل مع إرث الاستعمار والبطريركية، مما يجعلها مساهمة هامة في حقل الدراسات النسوية العربية والفرنكوفونية.

3. أهداف الدراسة:

تسعى هذه الدراسة إلى تحقيق الأهداف التالية:

1. تحليل الأبعاد المتعددة لعلاقة "آسيا جبار" باللغة الفرنسية، وتحديد وظائفها المتناقضة كلغة للمستعمر، ولغة للأب، وأداة للتحرر والانعتاق من سلطة التقاليد.
2. استكشاف استراتيجيات جبار في استحضار اللغات الأم (العربية بلهجاتها المختلفة والأمازيغية) داخل النص الفرنسي، ودراسة أثر هذا التهجين اللغوي على بنية السرد ودلالاته.
3. بحث الكيفية التي توظف بها جبار الحكي الشفوي والذاكرة النسوية كشكل من أشكال المقاومة ضد التاريخ الرسمي المكتوب، وتحليل آلية تحويل "الصوت" الشفوي إلى "نص" مكتوب.
4. تحديد وتحليل مفهوم "لغة الجسد" باعتبارها لغة رابعة في أعمال جبار، واستكشاف دورها في التعبير عن التجارب المسكوت عنها للجسد الأنثوي في فضاء مقموع.
5. البرهنة على أن التعدد اللغوي عند جبار ليس مجرد انعكاس لسيرتها الذاتية، بل هو مشروع جمالي وسياسي متكامل يهدف إلى خلق فضاء أدبي "متعدد الأصوات" يعكس تعددية الهوية الجزائرية ويقاوم كل أشكال الخطاب الأحادي.

4. منهجية الدراسة:

لتحقيق هذه الأهداف، تتبنى الدراسة منهجا تكامليا يجمع بين التحليل النصي والنقد الثقافي، مستعينا بأدوات من نظريات ما بعد الاستعمار والنقد النسوي. سيتم تطبيق هذا المنهج على مجموعة مختارة من أعمال آسيا جبار الروائية، مع التركيز بشكل خاص على نصوصها التي يبرز فيها التوتر اللغوي بشكل جلي، مثل "الحب والفتنازيا" (L'Amour, la fantasia)، و"بوابة الذكريات" (Nulle part dans la maison de Mon père)، و"واسع هو السجن" (Vaste est la prison). سيتم تحليل هذه النصوص من خلال:

1. التحليل النصي: عبر رصد وتحليل الظواهر اللغوية الدالة على التعدد (التناوب اللغوي، الاقتراض، الترجمة الذاتية، الإشارات الميتالغوية) وتأثيرها على الأسلوب والبنية السردية.
2. النقد الموضوعاتي: من خلال تتبع الموضوعات المرتبطة باللغة والهوية والجسد والتاريخ عبر أعمالها المختلفة، وربطها بإشكالية التعدد اللغوي.
3. الاستناد إلى الإطار النظري: سيتم توظيف مفاهيم نقدية أساسية مثل "التهجين" (Hybridity) لهومي بابا، و"الكتابة النسوية" (écriture féminine)، ومفهوم "الباليمسست" (Palimpsest) لفهم أبعاد استراتيجية جبار اللغوية. ستعتمد الدراسة حصرا على المصادر الأكاديمية المرفقة لتأطير التحليل وتدعيم الحجج، مع الالتزام بالاستشهاد الدقيق والمفصل منها.
5. الإطار النظري والمراجعة النقدية:

5. اللغة الفرنسية: بين اغتراب المنفى وفضاء البوح:

شكلت الكتابة بلغة الآخر قضية محورية في الأدب الجزائري، وهي تعكس تصورا خاصا للهوية والضغط النفسية التي يعيشها الأديب. "يصف مالك حداد" هذه اللغة بأنها "المنفى"، بينما ترى فيها "آسيا جبار" لغة محايدة في كتاباتها

الأولى، كونها اللغة الوحيدة التي تمتلكها (بلغول، 2016، ص. 113). هذه العلاقة الملتبسة مع الفرنسية، لغة التعليم والأب، تضع جبار في موقع فريد؛ فالفرنسية بالنسبة لها لم تكن مجرد أداة بل سجلت حضورا وجوديا ونفسيا. تقول في "الحب والفتنازيا" إنها "لسان زوجة الأب" مقابل "اللسان الأم الضائع" الذي تخلى عنها واختفى (بلغول، 2016، ص. 116). يكشف هذا التوصيف عمق الشرخ اللغوي والنفسي: فهناك لغة مكتسبة تفرض مسافة اجتماعية وثقافية، ولغة أم تحمل البعد الحميمي والذاكرة. تتقاطع هنا الاعتبارات التاريخية والسياسية مع البعد النفسي للفقد والهوية، ما يجعل من الكتابة بلغة الآخر مسرحا لصراع داخلي ومفارقات فكرية. وتستدعي هذه الثنائية اللغوية تساؤلات حول إمكانية المصالحة بين الذات واللغة. وأثارها على الإنتاج الثقافي.

لكن هذا "المنفى" اللغوي تحول عند جبار إلى فضاء رحب للبوح والانعقاد، إذ لم يعد قطيعة مع اللغة الأم، بل صار مجالا لإعادة تشكيل الوعي والهوية. فاللغة الفرنسية، رغم ما تحمله من ذاكرة استعمارية قاسية وتحيل إليه من عذابات الشعب الجزائري، كانت في نظرها أداة مزدوجة الوظيفة: فهي من جهة تذكير بتاريخ مؤلم، ومن جهة أخرى وسيلة فعالة لتحرير المرأة من فضاء الحريم الضيق الذي كرسه البنى الاجتماعية التقليدية (بلغول، 2016، ص. 113). لقد منحتها الكتابة بالفرنسية إمكانية "تعرية الواقع وكشف التابوهات في مجتمع تتعدد فيه مستويات الحجب"، وهو ما لم تكن تتيحه لها العربية التي كانت، في منظورها، "مثقلة بالتابوهات" (بلغول، 2016، ص. 114-117). ولهذا بدت الفرنسية لغة خارجية ومحيدة، تتيح لها كسر جدران الصمت والتعامل بحرية مع الذاكرة والتاريخ، كما توضح ذلك في روايتها "بعيدا عن المدينة المنورة"، معتبرة أن "اللغة الخارجة عن الإسلام الآن، لغة محايدة منحتهم حركتهن وحريتهن" (Djebar, 1999, p. 52). هذه المحايدة الظاهرية هي التي فتحت أمامها أفقا أرحب لكسر الصمت المطبق على المرأة (بلغول، 2016، ص. 118).

ومع ذلك، لم تكن هذه اللغة قادرة على تلبية كل احتياجاتها. لقد أصبحت لغة الفكر والأوساط الاجتماعية، لكنها ظلت عاجزة عن دخول عوالم الكاتبة الأكثر حميمية (بلغول، 2016، ص. 113). فالفرنسية، رغم كونها لغة الكتابة، ظلت تحمل "صوت الخرّس الغرامي"، أي العجز عن التعبير عن مشاعر الحب العميقة. في رواية "اختفاء اللغة الفرنسية"، يعاني البطل "بركان" من هذا المأزق، فهو يكتب لحبيبته الفرنسية ماريّز بالفرنسية، لكن "مشاعره تفجرت من لغات شتى: عربية، جزائري، بربرية أمها" (قسطي، 2016، ص. 150-151). هذا التوتر بين قدرة الفرنسية على التحرير الفكري وعجزها عن التعبير الحميمي هو الذي دفع جبار إلى البحث عن استراتيجيات لغوية أخرى، تدمج اللغات المقموعة في نسيج النص الفرنسي.

وعليه، يمكن القول إن تجربة الكتابة بالفرنسية لدى "آسيا جبار" تتجاوز ثنائية الرفض والقبول، والمنفى والانتماء، لتتجسد كفضاء مركب للمعاناة والإبداع معا. فاللغة التي بدأت كجرح نفسي واغتراب ثقافي تحولت تدريجيا إلى أداة لإعادة بناء الذات واستعادة التاريخ بصوت نسوي يخترق حدود الصمت. ومع ذلك، بقيت هذه اللغة تحمل آثار الوجودية ومحدوديات البوح، إذ مكنت الكاتبة من التحرر الفكري لكنها عجزت عن احتضان عمق التجربة الوجدانية التي تستدعي عودة إلى اللسان الأم وذاكرته. وهكذا، تتشكل علاقة جبار بالفرنسية كمسار دائم من التوتر الخلاق: تارة تمنحها حرية القول وتفكيك المسكوت عنه، وتارة تذكرها بحدودها وافتقارها إلى حرارة الانتماء. إن هذا التداخل بين

الاغتراب والبوح، بين لغة الآخر وصوت الذات، يعكس بوضوح معركة الكاتبة مع هويتها اللغوية ويكشف في الوقت نفسه عن قدرة الأدب على تحويل الجرح إلى مصدر للقوة الإبداعية. وبذلك يصبح "منفى" اللغة الفرنسية ليس نهاية بل بداية لمسار بحث متواصل عن لغة تتسع للذاكرة والجسد والأنثى والتاريخ في آن واحد.

5. 2. الشفوية، الذاكرة، وإعادة كتابة التاريخ:

في مواجهة قصور اللغة الفرنسية عن احتضان عوالمها الحميمية وتجاربها المتجذرة في الذاكرة الجماعية، لم تلجأ آسيا جبار إلى الكتابة المباشرة بالعربية أو الأمازيغية، بل اختارت أن تستدعي صدى اللغة الأم عبر بعث تقاليدها الشفوية، والإنصات إلى أصوات النساء التي ظلت مهمشة في الخطاب الرسمي (بلغول، 2016، ص. 113). وتحول مشروعهما السردى إلى شكل من أشكال الحفر الأركيولوجي في طبقات الذاكرة النسوية، بهدف "إخراج بنات جنسها من دائرة الصمت" وإعادة منحهن موقعا فاعلا في السرد التاريخي، وتنهض هذه المقاربة على قناعة مفادها أن التاريخ الحقيقي للأمة لا يختزل في الوثائق المكتوبة التي صاغها الرجال أو المستعمر، بل يتجلى في الحكايات الشفوية التي تناقلتها النساء جيلا بعد جيل، بما تحمله من شذرات خبرة وذاكرة وتجربة معيشة. وهكذا تحول جبار الصوت النسائي إلى مصدر معرفي بديل، وإلى سجل تاريخي مضاد يعيد الاعتبار للهامشي والمقموع، ويثبت أن الذاكرة الشفوية ليست بديلا أدبيا فحسب، بل ممارسة مقاومة تعيد صياغة الذات والتاريخ (بلغول، 2016، ص. 124).

في رواية "الحب والفتازيا"، تطرح جبار هذا المشروع بوضوح. الرواية تمزج بين ثلاثة مستويات: تاريخ الغزو الفرنسي للجزائر عام 1830 بالاعتماد على أرشيفات فرنسية، شهادات نساء شاركن في حرب التحرير، وسيرة الكاتبة الذاتية (Yildiz Bagce, 2018, p. 449). من خلال هذا المزج، تقوم جبار بعملية "قراءة كونترابوننية" (contrapuntal reading) للتاريخ، حيث تضع الرواية الرسمية في مواجهة الروايات الشفوية المهمشة (Yildiz Bagce, 2018, p. 449). إنها تستخدم اللغة الفرنسية، لغة الأرشيف، لتفكيك هذا الأرشيف نفسه، وذلك عبر إدخال الأصوات الشفوية للنساء الجزائريات إليه. هذه العملية ليست مجرد ترجمة، بل هي، كما تصفها مليكة بوسواليم، ممارسة "عبر لغوية" (translingual practice) حيث تؤثر الشفوية الجزائرية والفرنسية المكتوبة على بعضها البعض، مما يسمح بظهور بنى لغوية جديدة (Boussoualim, 2018, p. 109).

في أعمال أخرى أيضا، تتجلى هذه الاستراتيجية بوضوح أكبر، إذ تعمل "آسيا جبار" على إعادة فتح ملفات التاريخ من منظور مغاير يسعى إلى تفكيك السرديات السائدة وإبراز ما جرى إقصاؤه عمدا. ففي روايتها "بعيدا عن المدينة المنورة" تعود الكاتبة إلى فجر الإسلام لتعيد قراءة حضور النساء في تلك المرحلة المبكرة، معتمدة على المصادر التاريخية التقليدية، ولكن عبر إعادة تخيل الأحداث وسد الثغرات التي تركها المؤرخون الذكور (بلغول، 2016، ص. 118). ترى جبار أن التاريخ الإسلامي الرسمي مارس عملية حجب ممنهجة لكل ما يتعلق بالفعل النسوي، مما أدى إلى غياب أسماء النساء وأدوارهن الحقيقية في بناء اللحظة التأسيسية (بلغول، 2016، ص. 118). ومن خلال لغة تصفها بـ "المحايدة"، استطاعت أن "حركية لنساء يعشن في فجر الذاكرة الإسلامية" (Djebar, 1999, p. 52)، أي أنها تفتح المجال أمام تمثيل أصوات نبذت من السرد التاريخي.

ويمثل هذا المشروع الطموح لإعادة كتابة التاريخ من منظور نسوي-المسنود إلى الذاكرة الشفوية وإلى إعادة تشكيل الأرشيف-جوهر ما يمكن تسميته بالتعدد اللغوي العميق عند آسيا جبار. فهو ليس مجرد تفاعل بين لغات متعددة، بل حوار جدلي معقد بين الشفوي والمكتوب، بين الذاكرة الجمعية والأرشيف الرسمي، وبين صوت المرأة المهمشة وصوت التاريخ المهيمن، في محاولة لإعادة التوازن إلى سردية طال تغيب نصفها.

وهذا يتبين أن مشروع "آسيا جبار" السردى يتجاوز حدود الإبداع الروائي ليغدو فعلا معرفيا ومقاوما يعيد ترتيب العلاقة بين اللغة والذاكرة والتاريخ. فمن خلال استدعاء الشفوية النسوية بوصفها مصدرا بديلا للمعرفة، ومن خلال مساءلة الأرشيف المكتوب بلغة المستعمر أو المؤرخ الذكورى، نجحت جبار في فتح مساحات سردية جديدة تتصف الأصوات المقصات وتعيد إدماجها في نسيج الحكاية الوطنية. وهكذا يتحول التعدد اللغوي في أعمالها إلى استراتيجية لإعادة كتابة التاريخ، تسمح بإبراز ما تم حجب واستعادة ما تم إسكاته، مؤكدة أن الذاكرة الشفوية ليست فقط سجلا موازيا، بل قوة فاعلة في تفكيك السرديات المهيمنة وإعادة تشكيل الهوية الجماعية.

6. النتائج والمناقشة:

6. 1. الهوية المتعددة: التعدد اللغوي كبنية للسرد

إن استراتيجية "آسيا جبار" اللغوية لا تنعكس فقط على مستوى الموضوعات، بل تشكل بنية السرد ذاتها، فأعمالها، وخصوصا رباعيتها الروائية، تتبنى شكلا متشظيا، فسيفسائيا، يرفض الخطية والسرد المتجانس. هذا الشكل السردى هو الترجمة الجمالية لمفهومها عن الهوية. فالهوية عند جبار، كما يشير أمين معلوف، ليست انتماء واحدا بل هي "متشكلة من انتماءات متعددة نعيشها بوصفها كلا متكاملًا" (معلوف، 1999، ص. 16). ولا يحدث الاختزال إلى هوية واحدة إلا لحظة الشعور بالتهديد. كتابات جبار هي مقاومة دائمة لهذا الاختزال.

في رواية "بوابة الذكريات" (الترجمة عن «Nulle part dans la maison de mon père») يتجلى هذا المفهوم بوضوح. الرواية هي سيرة ذاتية تستجمع فيها جبار ذكريات طفولتها ومراهقتها، وتصور انتقالها من الريف إلى المدينة، ومن عالم التقاليد إلى فضاء الحداثة الأوروبية (لوت، 2022، ص. 104). السرد يتحرك باستمرار بين الماضي والحاضر، بين القرية والمدينة، بين الجزائر وباريس، مما يخلق "ذاكرة متنقلة" (لوت، 2022، ص. 105). هذا التنقل المكاني والزمني هو أيضا تنقل لغوي. فالرواية "تترجم العوالم المكثفة وخلفية التفكير ونشوء المجتمع الجزائري بين محوري التقليد والتجديد" (لوت، 2022، ص. 103). السرد نفسه يصبح فضاء تتصارع فيه اللغات والثقافات: لغة الأب المعلم المعرب. ولغة الأم الغنية بالتقاليد الشفوية، واللغة الفرنسية التي تفرضها المدرسة الاستعمارية (لوت، 2022، ص. 107). إن بنية الرواية التي تعتمد على الاسترجاع والتداعي الحر تعكس هذه الهوية المركبة التي تتشكل من طبقات لغوية وثقافية متعددة.

كذلك في رواية "اختفاء اللغة الفرنسية"، يستكشف البطل "بركان" هويته المفقودة بعد عودته إلى الجزائر من باريس (قسطي، 2016، ص. 148). رحلته هي بحث عن الذات بين لغتين وثقافتين. ورغم اغتباطه بالعودة إلى "أحضان جزائره الأم"، لم تستطع لغة الأم "أن تنحي الفرنسية عن عرشها"، فظل بركان يكتب بالفرنسية (قسطي، 2016، ص. 149). لكن هذه الفرنسية لم تعد لغة صماء، بل أصبحت لغة "ينثر" بها كلماته الفرنسية ولكن "آماله

وآلامه تزار بالعربية" (قسطي، 2016، ص. 150). إن هذا الصراع الداخلي للبطل هو تجسيد فني لبنية الهوية عند جبار: هوية هجينة، تتشكل عند تقاطع اللغات والثقافات، ولا تجد استقرارها في أي قطب واحد. الرواية تكشف عن "مشكلات الهوية التي يعانيها أي فرد حين يعيش بين ثقافتين وبين لغتين" (قسطي، 2016، ص. 147). فالهوية عند جبار تغزو مشروعا في طور التشكل يتأسس على مبدأ الاختلاف والتعدد، واستيعاب الموروث الحضاري للمجتمع الجزائري يتطلب الحفر في الذاكرة الجماعية بأبعادها المختلفة (بلغول، 2016، ص. 117).

بناء عليه، يتضح أن التعدد اللغوي لدى آسيا جبار ليس مجرد تقنية أسلوبية، بل هو جوهر الرؤية التي تبني بها الكاتبة مفهوم الهوية. فالسرد المتشظي، والتنقل بين الأزمنة والأمكنة، وتداخل اللغات، كلها عناصر تشكل تمثيلا فنيا لهوية هجينة، مفتوحة، ومقاومة لكل أشكال الاختزال. وبذلك يتحول النص الجباري إلى فضاء تتجاوز فيه الذاكرة الفردية والجماعية، ويتداخل فيه الموروث مع الحداثة، لتقدم الكاتبة تصورا للهوية بوصفها مشروعا دائما في التشكل، لا يكتمل إلا بالاعتراف بتعديده وعمقه الثقافي.

6. 2. لغة الجسد: فضاء التحرر وتأنيث النص السردية:

تضيف آسيا جبار بعدا آخر للتعدد اللغوي يتجاوز اللغات المنطوقة، وهو ما أسمته بـ "لغة الجسد". تقول جبار إن للمرأة أربع لغات: الأمازيغية، العربية، الفرنسية، ولغة الجسد (قسطي، 2016، ص. 146). هذه اللغة الرابعة، لغة الجسد برقصاته وشطحاته وتأوهات، هي اللغة التي تقاوم كل أشكال القمع، سواء كان استعماريا أو بطريركيا. إنها اللغة التي لا يمكن إسكاتها، وهي تمثل مساحة الحرية المطلقة للمرأة. فالجسد الأنثوي في روايات جبار هو "حالة شعورية تأسر القارئ" (جبايلي، 2021، ص. 169).

إذ إن الاهتمام بالجسد هو شكل من أشكال المقاومة ومحاولة لرسم حدود المسموح به والممنوع داخل نصها (جبايلي، 2021، ص. 170). في مجتمع يفرض الحجاب والتحفظ على الجسد الأنثوي، تصبح الكتابة عن الجسد فعلا تحرريا بامتياز. فالجسد الأنثوي، كما تراه جبار، هو "نص" يمكن قراءته، وهو أيضا "صوت" يمكن سماعه. لقد سعت جبار إلى "إبراز الأنوثة التي أقصتها الثقافة الذكورية وحجبت جسدها" (جبايلي، 2021، ص. 169). في رواية "بوابة الذكريات"، تصف جبار حادثة منع والدها من ركوب الدراجة لأن ساقها قد تكشفتا. تعلق جبار على الحادثة قائلة: "ما شد انتباهي أكثر في الجملة تلك الكلمة العربية ساقها وقد انزعجت أيتها انزعاج لما استشعرت بأنه حدد شخصي ونزع مني شيئا لم يكن ملكه" (العويلى ومحمد، 2024، ص. 503). هذه الحادثة المبكرة شكلت وعيها بأن الجسد هو ساحة صراع على الملكية والسلطة.

لذلك، فإن الكتابة عن الجسد هي استعادة لملكية هذا الجسد. إنها "رمز للحرية المطلقة، لكيثونة المرأة، للوجود، لإثبات الذات" (العويلى ومحمد، 2024، ص. 504). لقد تجولت لغة الجسد إلى اللغة الرابعة التي "نمت بين ضلوع المرأة وجسدها" (قسطي، 2016، ص. 150). هذه اللغة تتجلى في الرقص والترنح والنظرات، وهي لغة تتجاوز الكلمات المنطوقة للتعبير عما لا يمكن قوله. في رواية "ليالي ستراسبورغ"، تستدعي الكاتبة "لغة الجسد حيث تسقط كل الفوارق معلنة عن ميلاد ذوات جديدة" لتجاوز العقبات بين الأطراف المختلفة وضمان استمرار الحب (بلغول، 2016، ص. 123). فالجسد هنا لا يصبح موضوعا للكتابة فقط، بل يصبح هو نفسه لغة، وسيطا للتواصل يتجاوز الحواجز

اللغوية والثقافية التي بناها التاريخ. من خلال تأنيث النص السردي بحركة الجسد الأنثوي، تؤسس جبار خطاب نسوي متجذر في التجربة الجسدية، ويجعل من هذا الجسد فاعلا رئيسيا في عملية إنتاج المعنى والمقاومة.

ما يتضح لنا أن لغة الجسد لدى آسيا جبار ليست مجرد حضور جمالي داخل النص السردي، بل هي آلية تفكيك ومقاومة تعيد عبرها الكاتبة الاعتبار لجسد المرأة بوصفه فضاء للحرية، ومصدرا للمعنى، وكيانا يستعيد سلطته المسلوبة. فهي لغة تتجاوز حدود التعبير اللفظي لتصبح خطابا وجوديا يواجه القمع ويقلب البنى الذكورية، ويحول التجربة الجسدية إلى فعل سردي واع يعيد تشكيل الذات الأنثوية. وهكذا، تغدو لغة الجسد عند جبار حجر الأساس في بناء رؤية نسوية تجعل من الجسد نفسه منصة للتحرر وحاملة لصوت لا يمكن إسكاته.

7. الخاتمة:

لقد أظهرت هذه الدراسة أن التعدد اللغوي في أعمال "آسيا جبار" ليس مجرد سمة أسلوبية أو انعكاس لسيرتها الذاتية، بل هو إستراتيجية فكرية وجمالية متكاملة تشكل عصب مشروعها الأدبي. أولا، كشفت الدراسة عن العلاقة الجدلية التي تقيمها جبار مع اللغة الفرنسية، حيث حولتها من لغة للمستعمر إلى أداة للبوّح والتحرر من قيود المجتمع البطريركي، مع إدراكها في الوقت نفسه لعجز هذه اللغة عن التعبير عن العوالم الحميمة، مما دفعها إلى البحث عن لغات بديلة. ثانيا، أبرزت الدراسة كيف وظفت جبار تقنيات الحكى الشفوي والذاكرة النسوية كآلية مركزية لاستعادة الأصوات المهمشة وإعادة كتابة التاريخ الرسمي من منظور نسوي، محولة بذلك "الصوت" المقموع إلى "نص" مقاوم. ثالثا، أثبت التحليل أن بنية السرد المتشظية والمتعددة الأصوات في رواياتها هي تجسيد فني مباشر لمفهومها عن الهوية الهجينة والمتعددة، التي تتشكل عند تقاطع اللغات والثقافات والذكريات. وأخيرا، أوضحت الدراسة كيف أسست جبار لمفهوم "لغة الجسد" كلغة رابعة تتجاوز اللغات المنطوقة، لتصبح فضاءا للتعبير عن التجربة الأنثوية المسكوت عنها، وأداة للمقاومة ضد كل أشكال الحجب والقمع.

في مجملها، تتشكل هذه الاستراتيجيات مشروعا متكاملا يجعل من التعدد اللغوي فعلا سياسيا وجماليًا يهدف إلى تفكيك الخطابات الأحادية وبناء عالم متعدد الأصوات والهويات.

محدودية الدراسة:

على الرغم من محاولة هذه الدراسة تقديم رؤية شاملة، إلا أنها تبقى محكومة ببعض المحددات. أولا، اقتصر التحليل على مجموعة محددة من أعمال آسيا جبار الروائية، ورغم أنها تمثل مراحل مهمة من تجربتها، إلا أن تعميم النتائج على كامل أعمالها (بما في ذلك أفلامها وكتابات الشعرية) يتطلب المزيد من البحث. ثانيا، استندت الدراسة بشكل حصري على المصادر النقدية والأكاديمية الخمسة والعشرون المرفقة، مما يعني أن الإطار النظري والتحليلي محكوم بالرؤى ووجهات النظر المتوفرة في هذه المصادر المحددة. وبالتالي، فإن أي جوانب أو أطر نظرية لم تتطرق إليها هذه الدراسات بقيت خارج نطاق هذه المقالة. ثالثا، ركزت الدراسة على التعدد اللغوي كاستراتيجية بنوية، وقد يكون من المفيد في دراسات لاحقة إجراء مقارنات أكثر تفصيلا مع كاتبات أخريات من نفس الجيل أو من أجيال لاحقة لفهم خصوصية تجربة جبار بشكل أعمق. آفاق العمل المستقبلية:

- بناء على نتائج هذه الدراسة ومحدداتها، يمكن اقتراح عدة مسارات بحثية مستقبلية:
- إمكانية إجراء دراسة مقارنة مفصلة بين استراتيجيات التعدد اللغوي عند "آسيا جبار" وكاتبات أخريات من المغرب العربي (مثل فاطمة المرينسي أو أحلام مستغانمي) أو من سياقات ما بعد كولونيالية أخرى، لفهم أوجه التشابه والاختلاف في توظيف اللغة كأداة للمقاومة.
 - أهمية إجراء تحليل معمق للأعمال السينمائية "آسيا جبار"، وبحث كيفية تجلي التعدد اللغوي (بصريا وصوتيا) في أفلامها، وكيف يتقاطع مشروعها السينمائي مع مشروعها الروائي.
 - إمكانية تخصيص دراسة مستقلة لمفهوم "لغة الجسد" عند جبار، وربطه بالنظريات الفلسفية والنسوية المعاصرة حول الجسد، وتتبع تطور هذا المفهوم عبر كامل أعمالها.
 - إمكانية لتطور الدراسات اللسانية في مجال "الكتابة متعددة اللغات" (Translingual Writing) أن يوفر أدوات نظرية جديدة لإعادة قراءة أعمال جبار، وتجاوز ثنائية "اللغة الأم" و"لغة الآخر" نحو فهم أكثر مرونة لممارستها اللغوية الإبداعية.
- قائمة المراجع:
- بولفعة، خ. (2014). الهوية والمرأة في أدب آسيا جبار: تفكيك النسق وكسر المحذور. مجلة الأثر، (21)، 163-171.
- تام، ع.، ودغمان، ع. (2024). الأبعاد ما بعد الكولونيالية في المتخيل السردي لآسيا جبار رواية "بوابة الذكريات" أنموذجا - دراسة مقارنة. مجلة القارئ للدراسات الأدبية والنقدية واللغوية، 7(4)، 118-133.
- العويلي، ر.، ومحمد، ع. (2024). الأسرة في الرواية الجزائرية - رواية بوابة الذكريات لآسيا جبار أنموذجا. مجلة النص، 10(2)، 497-514.
- سعدالله، م. (2024). المركزيات البطريركية في رواية "بوابة الذكريات" لآسيا جبار: صراع السلطة الأبوية والمرجعيات. مجلة هيرودوت للعلوم الإنسانية والاجتماعية، 8(3)، 258-270.
- شايب، ف. ز. (2021). الهوية الثقافية وتجليات صورة المرأة في رواية "بوابة الذكريات" لآسيا جبار: مقارنة سوسيوقافية. مجلة إشكالات في اللغة والأدب، 10(2)، 521-534.
- قسطي، س. (2016). البحث عن الهوية في رواية "اختفاء اللغة الفرنسية" للروائية آسيا جبار: دراسة مجمعية رمزية. دفاتر مخبر الشعرية الجزائرية، 2(2)، 145-167.
- معلوف، أ. (1999). الهويات القاتلة. ورد للطباعة والنشر والتوزيع.
- مقفولة، ص. (2009). المرأة في الرواية الجزائرية. دار الشرق.
- بلغول، ف. (2016). آسيا جبار من أقاليم اللغة إلى أقاليم الهوية. مجلة رؤى فكرية، 4(4)، 113-125.
- جبايلي، س. (2021). حركية الجسد وإمكانية تأنيث نص سردي نسوي (بوابة الذكريات) ل (آسيا جبار) أنموذجا. مجلة الميدان للعلوم الإنسانية والاجتماعية، 4(1)، 169-176.

لوت، ز. (2022). فضاء المدينة في رواية بوابة الذكريات لآسيا جبار: المركز والهامش. موازين 4(أعمال ملتقى وطني)، 103-112.

1. Ali, N. (2015). AssiaDjebar et la réécriture de l'histoire au féminin. *Multilinguales*, (6), 1-13.
2. Bemmoussat, N.D. (2022). AssiaDjebar : 'l'Immortelle' de la littérature algérienne d'expression française. *Revue plurilingue : étude des langues, littératures et cultures / ElliC*, 6(1), 47-54.
3. Boussoualim, M. (2018). Translingual practice and Transcultural Connections in AssiaDjebar's *La femme sans sépulture*. *Acta Universitatis Sapientiae, Philologica*, 10(2), 109-127.
4. Boutaghou, M. (2007). *Langues, Corps, Histoire : Les Langues d'AssiaDjebar*. *Synergies Inde*, (2), 355-364.
5. Boutaghou, M. (2013). Le style en arabesque d'AssiaDjebar. *French studies*, 67(2), 216-231.
6. Daoudi, A. (2018). Multilingualism in Alegria : between 'Soft Power', 'Arabisation', 'Islamisation', and 'Globalisation'. *Journal of North Africa Studies*, 23(3), 460-481.
7. Landers, N. G. (2013). *Representing the Algerian Civil War: Literature, History, and the State* (Doctoral dissertation), University of California, Berkeley).
8. Lievois, K. (2005). La traduction dans *L'amour, la fantasia* d'AssiaDjebar : une tunique de Nessus. *Palimpsestes*, (18), 157-171.
9. Maafa, S. (2020). AssiaDjebar: an Algerian writer of French expression. *AfkarwaAffak*, 8(1), 329-344.
10. Ouyang, W. (2020). Multilingualism and Creativity in World Literature. In K. Kohl, R. Dudrah, A. Gosler, S. Graham, M. Maiden, W. Ouyang, & M. Reynolds (Eds), *Creative Multilingualism: A Manifesto* (pp. 109-130). Open Book Publishers.
11. Smith, W. (2021). Deconstructing linguistic binaries in AssiaDjebar's *L'Amour, la fantasia* : From 'mother tongue' to linguistic repertoire. *Journal of Languages, Texts, and Society*, 5, 1-24.
12. Steenkamp, C. (2017). *Le rôle de l'imagination dans L'Amour, la fantasia d'AssiaDjebar et Philida d'André Brink* (Master's dissertation, University of Pretoria).

13. Yıldız Bağcı, H. (2018). SÖMÜRGE SONRASI BENLİĞİ ANLATMAK: ASSIA DJEBAR'IN FANTAZYA'SI. Trakya Üniversitesi Sosyal Bilimler Dergisi, 20(2), 447-458.